الرأى والعقيـــدة

للأستاذ احمد أمين

فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده — اذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك ، واذا اعتقدته جرى فى دمك ، وسرى فى مخ عظامك ، وتغلغل الى أعماق قلبك

ذو الرأى فيلسوف ، يقول انى أرى الرأى صوابا وقد يكون فى الواقع باطلا ، وهذا ماقامت الأدلة عليه اليوم ، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا ، وقد أكون مخطئا فيه ، وقد أكون مصيبا ، أما ذو العقيدة فجازم باتٌ لا شك عنده ولا ظن ، عقيدته هى الحق لا محالة ، هى الحق اليوم وهى الحق غدا ، خرجت عن أن تكون مجالا للدليل ، وسمت عن معترك الشكوك والظنون

ذو الرأى فاتر أو بارد ، ان تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة ، وان لم يتحقق ما رأى فلا بأس ، فقد احترز من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، وذو العقيدة حار متحمس لا يهدأ الا اذا حقق عقيدته . هو حرج الصدر ، لهيف القلب ، تتناجى فى صدره الهموم ، أرّق جفنه وأطال ليله تفكيره فى عقيدة ، كيف يعمل لها ، ويدعو اليها ، وهو طلق المحيا مشرق الجبين ، اذا أدرك غايته ، أو قارب بغيته

ذو الرأى سهل أن يتحول ويتحور ، هو عبد الدليل ، أو عبد المصلحة تظهر فى شكل دليل ، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله : « لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته » وكما يتجلى فى دعاء عمر : « اللهم ايمانا كايمان العجائز »

لقد رووا عن « سقراط » أنه قال « إن الفضيلة هى المعرفة » وناقشوه فى رأيه ، وأبانوا خطأه ، واستدلوا بأن العلم قد يكون فى ناحية ، والعمل فى ناحية ، وكثيرا ما رأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها ، وبمضار القمار لاعبه . ولكن لو قال سقراط إن الفضيلة هى العقيدة ، لم أعرف وجها للرد عليه . فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة — قد ترى أن الكرم فضيلة ثم تبخل ، والشجاعة خيرا ثم تجبن ، ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة والكرم ثم تجبن أو تبخل

العقيدة حق مشاع بين الناس على السواء ، تجدها فى السذج ، وفى الاوساط ، وفى الفلاسفة — أما الرأى فليس الا للخاصة الذين يعرفون الدليل وأنواعه ، والقياس واشكاله ، والناس يسيرون فى الحياة بعقيدتهم ، أكثر مما يسيرون بآرائهم ، والمؤمن بعقيدته يرى مالا يرى الباحث برأيه ، قد منح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ما قصر عن ادراكه القياس والدليل

الناس انما يخضعون لذى العقيدة ، وليس ذو والرأى الا ثرثارين لا يعملون ، عُنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع ، لا يزالون يتجادلون فى آرائهم حتى يأتى ذو العقيدة فيكتسحهم

قد يجود الرأى وقد ينفع ، وقد ينير الظلام وقد يظهر الصواب ، ولكن لا قيمة لذلك كله ما لم تدعمه العقيدة ، وقل أن تؤتى أمة من نقص فى الرأى ، ولكن أكثر ما تؤتى من ضعف فى العقيدة ، بل قد تؤتى من قِبَل كثرة الآراء أكثر مما تؤتى من قلتها

الرأى جثة هامدة ، لا حياة لها مالم تنفخ فيها العقيدة من روحها ، والرأى كهف مظلم لا ينير حتى تلقى عليه العقيدة من أشعتها ، والرأى مستنقع راكد يبيض فوقه البعوض ، والعقيدة بحر زاخر لا يسمح للهوام الوضيعة أن تتولد على ظهره ، والرأى سديم يتكون ؛ والعقيدة نجم يتألق ،

ذو الرأى يخضع للظالم وللقوى ، لأنه يرى أن للظالم والقوى رأيا كرأيه ، ولكن ذا العقيدة يأبى الضيم ويمقت الظلم ، لأنه يؤمن أن ما يعتقده من عدل وإباء هو الحق ولا حق غيره

من العقيدة بنبثق نور باطنى يضىء جوانب النفس ، ويبعث فيها القوة والحياة ، يستعذب صاحبها العذاب ، ويستصغر العظائم ، ويستخف بالأهوال ، وما المصلحون الصادقون فى كل أمة الا أصحاب العقائد فيها

الرأى يخلق المصاعب ، ويضع العقبات ، ويصغى لأماني الجسد ، ويثير الشبهات ويبعث على التردد ، والعقيدة تقتحم الاخطار ، وتزلزل الجبال ، وتلفت وجه الدهر ، وتغير سير التاريخ ، وتنسف الشك والتردد ، وتبعث الحزم واليقين ، ولا تسمح الا لمراد الروح

ليس ينقص الشرق لنهوضه رأى ، ولكن تنقصه العقيدة ، فلو منح الشرق عظماء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه وحال حاله ، واصبح شيئا آخر — وبعدُ ، فهل حُرِم الإيمان مهبط الايمان ؟؟